القيم المستنبطة من صلاة الاستسقاء

Values Derived from Istisqaa Prayer

10.35781/1637-000-136-001

د. صالح بن سرحان عمر القرشي*

*أستاذ الثقافة الإسلامية المساعد، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة-
كلية الشريعة وأصول الدين - جامعة الملك خالد - المملكة العربية السعودية

الملخص

تناول هذا البحث القيم المستنبطة من صلاة الاستسقاء، وهدف إلى استنباط أبرز القيم الإيمانية والتعبدية والاجتماعية والبيئية من صلاة الاستسقاء، واستخدم الباحث المنهج الاستنباطي، ومنه توصل إلى نتائج البحث التي من أهمها: إن صلاة الاستسقاء، ليست مجرد شعيرة إسلامية، تؤدى في أوقات مخصوصة وحسب، بل إن لها معان عظيمة، ومقاصد جليلة بتضمنها قيما عديدة، تُترجم شعائر الإسلام وتعاليمه إلى قيم حية إيجابية فاعلة في ميادين الحياة المختلفة للفرد والمجتمع. وتتضمن صلاة الاستسقاء قيماً إيمانية تتمثّل باليقين بالله، والتوكل عليه، وحسن الظن به، والخضوع والخشوع، والتواضع، وما يترتب عليها من الشعور بالطمأنينة والسكينة، والرضا بأقدار الله تعالى. كما أنها تؤدى في أوقات الشدة والقحط والجدب، حيث يشعر الناس بعجزهم أمام قوة الله تعالى، مما يجعلهم في حالة خشوع وخضوع كامل لقدرة الله، والتذلل في طلب عفوه ورحمته. وتعزّز صلاة الاستسقاء قيم التعاون والتضامن بين أفراد المجتمع المسلم، وتشجع على المشاركة الجماعية في مواجهة الأزمات. وأوصى الباحث بتفعيل دور المؤسسات الدينية والإعلامية والمجتمعية في نشر ثقافة ترشيد الموارد المائية، من خلال الخطب، والبرامج، والمناشط التوعوية، وتعزيز العمل الجماعي في الحفاظ على البيئة، من خلال تنظيم مبادرات مجتمعية تعتمد على روح التعاون، والتكافل.

الكلمات المفتاحية: القيم، الاستنباط، الصلاة، الاستسقاء.

ISSN : 2410-1818

Values Derived from Istisqaa Prayer

Dr. Saleh bin Sarhan Omar Al-Qurashi*

*Assistant Professor of Islamic Culture,
Department of Creed and Contemporary Schools of Thought,
Faculty of Sharia and Fundamentals of Religion,
King Khalid University, Saudi Arabia

Abstract

This research explores the values derived from Istisqaa prayer (prayer for rain), aiming to extract the most prominent faith, worship, social, and environmental values from this prayer. Using a deductive methodology, the researcher reached several key findings, including that Istisqaa prayer is not merely a ritual performed at specific times but encompasses profound meanings and noble purposes that translate Islamic teachings into positive, active values in various aspects of individual and societal life. Istisqaa prayer embodies faith values such as certainty in God, reliance on Him, good thoughts about Him, submission, humility, and the resulting feelings of tranquility, serenity, and satisfaction with God's decrees. Performed during times of hardship, drought, and distress, it fosters a sense of complete submission to God's power and encourages seeking His forgiveness and mercy. Additionally, Istisqaa prayer strengthens values of cooperation and solidarity within the Muslim community, promoting collective participation in facing crises. The researcher recommends activating the role of religious, media, and community institutions in promoting water resource conservation culture through sermons, programs, and awareness activities, and enhancing collective efforts in environmental preservation through organized community initiatives based on cooperation and mutual support.

Keywords: values, derivation, prayer, Istisqaa.

ISSN : 2410-1818

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، نستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ [الحج: ٦٧].

أمّا بعد:

فإن المتأمل في العبادات والشعائر الإسلامية يجدها تستوعب كل أنواع القيم، وتؤسس لها تأسيسًا راسخًا يعزّز التطبيق العملي والسلوكي والمجتمعي لها؛ لكون القيم من أبرز مرامي وغايات العبادات في الإسلام، حيث لا تكاد تخلو أي شعيرةٍ تعبدية من جملةٍ من القيم المتنوعة، ابتداءً بالقيم العقدية، والإيمانية، والتعبدية، والنفسية، والتعليمية، والتربوية، والأخلاقية والسلوكية، والاجتماعية، والجمالية، وغيرها، مما يؤكد على أن اشتمال الشعائر التعبدية في الإسلام على مجموعةٍ من القيم ذات الأهمية البالغة في ضبط حياة الفرد والمجتمع والأمة وفق المنهج الحكيم، مما يُبرز إسهام القيم في ضبط حياة المجتمع المسلم وتحقيق فاعليته في المجالات الإنسانية إليها.

وإذا كان التفكُّر والتدبُّر من أجلِّ العبادات التي حثَّ عليها القرآن الكريم؛ فإن مما ينبغي التفكر فيه دون غفلةٍ عنه، يتمثّلُ في الشعائر التعبدية والسنن النبوية المشروعة، ومنها تأتي صلاة الاستسقاء التي تعدُّ من السنن النبوية التي يؤديها المسلمون في أوقات الشدة من جفافٍ أو قحط؛ طلباً للغيث من الله تعالى، حيث إنّها تُجسِّد روح التوجه إلى الله تعالى في الأوقات العصيبة، وتُبرِز أهمية اللجوء إلى الله بالدعاء والرجاء في حياة المسلمين.

وصلاة الاستسقاء ليست مجرد شعيرة دينية تقام في أوقات الجفاف، بل إنها أيضاً تحمل في طياتها معاني عميقة، وقيماً جليلة تؤثر في الفرد والمجتمع والبيئة، وإن العمل على دراسة واستحضار هذه القيم التي تنطوي عليها صلاة الاستسقاء، وتجسيدها في حياة المسلم، يجعل من هذه الصلاة وسيلة للارتقاء بالروح، والنفس والمجتمع على حدٍ سواء.

وبناءً عليه؛ فقد جاء هذا البحث لمحاولة استنباط تلك القيم، والموسوم بـ " القيم المستنبطة من صلاة الاستسقاء"، واللهَ أسألُ التوفيق والسداد، فإنه أكرم مسؤول، وأعظم مأمول.

ISSN : 2410-1818

مشكلة البحث:

ترتبط العبادات الإسلامية ارتباطاً وثيقاً بالقيم، إذ لا تخلو أي عبادةٍ مشروعةٍ من قيم تنبني عليها وتستنبط منها، إلا أن بعض هذه العبادات لا تكاد تظهر القيم فيها للمسلم العادي، ومنها صلاة الاستسقاء؛ وهنا تكمن مشكلة البحث التي يسعى الباحث إلى معالجتها علمياً، مما يستلزم محاولة التعرف على مدى ارتباط القيم بصلاة الاستسقاء من عدمها، وذلك من خلال إثارة التساؤل الرئيس الآتي: ما أبرز القيم المستنبطة من صلاة الاستسقاء؟

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس الأسئلة الآتية:

1. ما القيم الإيمانية المستنبطة من صلاة الاستسقاء؟
2. ما القيم التعبدية المستنبطة من صلاة الاستسقاء؟
3. ما القيم الاجتماعية المستنبطة من صلاة الاستسقاء؟
4. ما القيم البيئية المستنبطة من صلاة الاستسقاء؟

أهمية البحث واسباب اختياره:

تتجلى أهمية البحث في الآتي:

أولاً: تتضمن صلاة الاستسقاء قيماً عظيمة تُجسِّد فهماً أدق، وعلاقة أعمق بين العبد وربه، وبين العبد ومجتمعه؛ مما يستلزم استنباط تلك القيم من خلال دراسةٍ علميةٍ خاصةٍ بها من منظور ثقافي؛ فكان هذا البحث.

ثانياً: يأمل الباحث أن دراسة هذه القيم المستوحاة من الشعائر والسنن التعبدية؛ قد تساعد في تعزيز الوعي الديني والاجتماعي والسلوك العملي،

ثالثاً: رغبة الباحث في تقديم دراسةٍ علميةٍ قصيرةٍ في موضوعٍ جزئيٍ تسهم في إثراء المكتبة الإسلامية، من خلال الجمع والربط بين مجال الشعائر والسنن التعبدية الإسلامية والقيم؛ سدًا لفجوةٍ في هذا المجال الذي تقلُّ فيه الأبحاث العلمية القصيرة.

ISSN : 2410-1818

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

1. استنباط القيم الإيمانية التي تتضمنها صلاة الاستسقاء.
2. استنباط القيم التعبدية التي تتضمنها صلاة الاستسقاء.
3. استنباط القيم الاجتماعية التي تتضمنها صلاة الاستسقاء.
4. استنباط القيم البيئية التي تتضمنها صلاة الاستسقاء.

حدود البحث:

تنحصر الحدود الموضوعية لهذا البحث فيما يتعلق بصلاة الاستسقاء، في استنباط القيم منها، دون أي شيء يتعلق بها خارج تخصص الثقافة الإسلامية، من مسائل فقهيةٍ أو غيرها.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاستقصاء في المكتبات والدوريات وقواعد البيانات، لم يقف الباحث - حسب علمه - على دراسة مماثلة للدراسة الحالية، وجلّ ما وقف عليه الباحث، بعض الأبحاث المتعلقة بصلاة الاستسقاء من ناحية فقهية، وهي تتفق مع الدراسة الحالية - فقط - في التعريف بصلاة الاستسقاء، وانفردت هذه الدراسة في استنباط القيم منها.

منهج البحث:

استخدم الباحث **المنهج الاستنباطي** لمناسبته لموضوع البحث؛ لأنه "المنهج القائم على النظر في النصوص والنقول، ودراستها وتحليلها، ومحاولة استخراج ما انطوت عليه من أحكام ومواعظ وأسرار"[1]. وهذا ما اجتهدت في السير على وفقه في محاولة استنباط القيم المتنوعة من صلاة الاستسقاء.

(1) الضويحي، أحمد عبد الله، وأحمد بن عبد الرحمن الرشيد، دليل كتابة الرسائل العلمية والبحوث التكميلية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كتاب إلكتروني على موقع الجامعة، 1432، (ص 25).

ISSN : 2410-1818

أما منهجي في الإجراءات الفنية؛ فقد

- قمت بنسخ الآيات القرآنية برسم وخط مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي.
- خرّجت الحديث بذكر ورودها في كتب الحديث النبوي مع بيان حكم علماء الحديث عليها، باستثناء ما كان في الصحيحين اكتفيت بالتخريج منهما وفق المنهج المعتمد.
- في سرد المصادر والمراجع؛ اعتمدت المنهج الشائع بالبدء بلقب المؤلف، ثم بقية اسمه، ثم عنوان الكتاب، ثم بقية البيانات.

تقسيمات البحث:

تم تقسيم هذه البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة المنهجية.

التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث.

أولاً: التعريف بصلاة الاستسقاء.

ثانيًا: التعريف بالقيم.

ثالثاً: أهمية صلاة الاستسقاء.

المبحث الأول: القيم الإيمانية المستنبطة من صلاة الاستسقاء.

المطلب الأول: قيمة اليقين بالله.

المطلب الثاني: قيمة التوكل على الله.

المطلب الثالث: قيمة حسن الظن بالله.

المطلب الرابع: قيمة التفاؤل بالخير وعدم القنوط من رحمة الله.

ISSN : 2410-1818

المبحث الثاني: القيم التعبدية المستنبطة من صلاة الاستسقاء.

المطلب الأول: قيمة الخشوع والخضوع لله تعالى.

المطلب الثاني: قيمة الإقرار بالذنب والاعتراف بالخطأ.

المبحث الثالث: القيم الاجتماعية المستنبطة من صلاة الاستسقاء.

المطلب الأول: قيمة التواضع.

المطلب الثاني: قيمة التعاون والتضامن.

المبحث الرابع: القيم البيئية المستنبطة من صلاة الاستسقاء.

المطلب الأول: قيمة تعزيز ثقافة ترشيد المياه.

المطلب الثاني: قيمة التوازن البيئي.

الخاتمة: وفيها:

- أهم النتائج.
- التوصيات.

قائمة المصادر والمراجع.

ISSN : 2410-1818

التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث

أولاً: التعريف بصلاة الاستسقاء:

تعريف الاستسقاء في اللغة: الاستسقاء في اللغة: على وزن «"استفعال"، من طلب السقيا: أي إنزال الغيث على البلاد والعباد يقال: سقى الله عباده بالغيث وأسقاهم، والاسم السُقية بالضم»[(2)].

ويقال: استسقى: من "استفعل" بمعنى: طلب السقيا بتضرُّعه ودعائه[(3)].

تعريف الاستسقاء اصطلاحاً: جاء تعريف " الاستسقاء" في اصطلاح الفقهاء بأنه: «سؤال الله تعالى أن يسقي عباده عند حاجتهم» [(4)].

وعرّف كذلك بأنه: «الدعاء بطلب السقيا على صفة مخصوصة»[(5)].

والفقهاء متفقون على مشروعية الاستسقاء من حيث المبدأ، ومختلفون في كيفية أداء الاستسقاء وصفتها[(6)]، فمنهم من يرى أن الاستسقاء يكون بالدعاء دون صلاة، وهو مذهب الحنفية خلافاً لمحمد

---

(2) ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ – 1979م (2/381)؛ وانظر: ابن بطال، محمد بن أحمد بن بطال الركبي، النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب، دراسة وتحقيق: د. مصطفى عبد الحفيظ سَالِم، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، 1988م، (1/119).

(3) انظر: القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق: محيي الدين ديب ميستو، وآخرون، دار ابن كثير والكلم الطيب، دمشق– بيروت، ط1، 1417 هـ – 1996م (2/540).

(4) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، روضة الطالبين، وعمدة المتقين، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– عمان، ط3، 1412هـ – 1991م (2/ 90).

(5) أبو النجا، شرف الدين موسى بن أحمد الحجاوي المقدسي، الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، دار المعرفة، بيروت (1/ 206).

(6) انظر تفاصيل الخلاف في صفتها: ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد، المغني، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، عالم الكتب، الرياض – السعودية، ط3، 1417 هـ – 1997م، (2/ 325، 326).

ISSN : 2410-1818

صاحب أبي حنيفة [7]، ومنهم من يرى أنها كما تكون بالدعاء لكن الأفضل أن تؤدى صلاةً بركعتين وخطبتين وهو مذهب الجمهور من المالكية والشافعية والحنابلة[8].

ووفق ما سبق، يمكن أن للباحث أن يُعرِّف صلاة الاستسقاء بأنها: صلاة يؤديها المسلمون طلباً للغيث (المطر)، وتقام في جماعة، وغالباً ما تؤدى في المساجد، أو في الأماكن العامة، ويتضمن هذا النوع من الصلاة خطبة يتحدث فيها الإمام عن أهمية الاستغفار والتوبة، ويدعو الناس إلى التوجه إلى الله بقلوب خاشعة.

ثانياً: تعريف القيم:

القيم في اللغة: مشتقة من مادة "قَوَم"، قال ابن فارس: «"القاف والواو والميم" أصلان صحيحان، يدل أحدهما على جماعة ناس، وربما استعير في غيرهم. والآخر على انتصاب أو عزم»[9].

والقيم، مفردها "قيمة" تدخل ضمن الأصل الثاني الذي حكى عنه ابن فارس، حيث يقول في تفسيره للأصل الثاني: «ومن الباب: قومت الشيء تقويما. وأصل القيمة الواو، وأصله أنك تقيم هذا مكان ذاك»[10].

وباستقراء معاني كلمة" القيم" في معاجم اللغة العربية، نجدها تشير إلى الكثير من المعاني، من أبرزها:

الأول: الثبات: ومنه قول الراغب في تفسيره لقوله تعالى: " دينا قيما " أي: ثابتا مقوما لأمور معاشهم ومعادهم[11].

---

[7] انظر: السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل، المبسوط، دار المعرفة، بيروت، 1414هـ - 1993م، (76/2).

[8] انظر: مالك بن أنس، المدونة، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ - 1994م (244/1)، وانظر: النووي، روضة الطالبين (2/ 90)؛ وأبو النجا، الإقناع (1/ 206).

[9] ابن فارس، أحمد بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م، (43/5).

[10] المصدر السابق نفسه.

[11] الرغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط1، 1412هـ، (ص691).

ISSN : 2410-1818

الثاني: قيمة الشيء: ثمنه[12].

الثالث: القصد، والنظام والعماد، يقال: قوام الشيء: أي: نظامه وعماده[13].

الرابع: الاستقامة[14].

القيم اصطلاحاً: لا يوجد تعريف متفق عليه لهذا المفهوم، شأنه في ذلك شأن مفاهيم ومصطلحات العلوم الإنسانية التي يكثر فيها الخلاف في تعريف المصطلحات؛ وهذا يعود إلى اختلاف التخصصات العلمية، وتباين الثقافات الإنسانية، وتعدد الاتجاهات الفكرية للباحثين.

فمن الباحثين من يعرف القيم بأنها: الاتجاهات والميول، ومنهم من يعرفها بأنها: عادات اجتماعية وثقافية، وهناك من يعرفها بأنها: الدوافع، وهناك من يعرفها بأنها: معايير وقوانين يتم تحديد السلوك في ضوئها[15].

والتعريف الأقرب والأنسب لهذه الدراسة هو التعريف الأخير الذي ركز على القيم باعتبارها أحكاماً معيارية موجهة للسلوك.

ثالثاً: أهمية صلاة الاستسقاء.

تعد صلاة الاستسقاء من الشعائر الإسلامية، التي تبرز فيها علاقة العبد بربه في أوقات الشدة والحاجة، حيث تجسد التضرع واللجوء إلى الله تعالى عند الجفاف وانقطاع المطر، ولا تقتصر أهميتها على الجانب الفقهي وحسب، بل لها أهمية تمتد لتشمل أبعاداً إيمانية، وأخلاقية، واجتماعية، وبيئية، تترك إثراً إيجابياً على الفرد والمجتمع.

---

[12] انظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ، (500/13).

[13] انظر: ابن منظور، لسان العرب (499/13).

[14] انظر: الهروي، أبو منصور محمد بن أحمد ابن الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 2001م، (267/9).

[15] انظر: الدويش، منيرة بنت عبد الرحمن، أثر العقيدة في ترسيخ القيم السلوكية لدى طالبات المرحلة الثانوية: دراسة نظرية تطبيقية، رسالة ماجستير، جامعة القصيم، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 2014م، ص31 – 33.

ISSN : 2410-1818

كما تتجلى أهمية صلاة الاستسقاء في إحياء سنة النبي ﷺ فصلاة الاستسقاء من آكد صلوات التطوع بعد صلاة الكسوف [16].

وتظهر الأهمية هنا من خلال الأجر المترتب على هذه الصلاة، جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((... وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته))[17].

وفي أداء المسلم لهذه الشعيرة اقتداء بالرسول ﷺ وفي الحديث ((... أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا؛ فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة))[18].

وقد صلى الرسول ﷺ الاستسقاء وصلاها خلفائه من بعده.

---

[16] انظر: ابن قدامة، المغني (324/2).

[17] صحيح البخاري كتاب الرقاق، باب التواضع، (2384/5) ح (6137)

[18] سنن أبي داود كتاب السنة، باب في لزوم السنة، (200/4) ح (4607) قال الشيخ الألباني: صحيح.

ISSN : 2410-1818

المبحث الأول: القيم الإيمانية المستنبطة من صلاة الاستسقاء

إن صلاة الاستسقاء، ليست مجرد شعيرة إسلامية، تؤدى في أوقات مخصوصة وحسب، بل إن لها معان عظيمة، ومقاصد جليلة بتضمنها قيما عديدة، تُترجم شعائر الإسلام وتعاليمه إلى قيم حية إيجابية فاعلة في ميادين الحياة المختلفة للفرد والمجتمع، ومن تلك القيم التي تتضمنها صلاة الاستسقاء القيم الإيمانية الاتية:

المطلب الأول: قيمة اليقين بالله.

يعد اليقين[19] بالله من أبرز القيم العقدية التي تتجلى في صلاة الاستسقاء، وهو قيمة تنبثق من الإيمان العميق بحكمة الله وقدرته على تغيير الأحوال وإنزال الغيث.

وقد يتبادر إلى ذهن القارئ سؤالٌ: هل ثمة فرق بين " التوكل" و" اليقين"؟

الجواب: نعم يوجد فرق بين "التوكل" و"اليقين"، يحسن البدء به كمدخل مهم لفهم أعمق لقيمة " اليقين"؛ إذ التوكل: هو اعتماد الإنسان على الله، مع الأخذ بالأسباب المتاحة، بحيث يقوم المؤمن بكل ما يجب عليه من سعي وعمل، ثم يترك النتائج لتدبير الله، وقد سبق بيان ذلك مفصلاً في قيمة " التوكل". أما اليقين: فهو إيمان راسخ يتجاوز مجرد الأخذ بالأسباب، ليصل إلى تصديق مطلق بأن ما يُقدره الله هو الحق المطلق، ولا يمكن للعقل أن يتصور خلاف ذلك.

نلحظ مما سبق: ارتباط اليقين بالله والتوكل عليه ارتباطاً وثيقاً، ويمكن إيجاز العلاقة بينهما بالقول: إن اليقين مقدمة للتوكل، فمن أيقن بأن الله تعالى هو المدبر الحكيم، كان توكله عليه أقوى، فالتوكل دليل على اليقين، فمن أيقن بالله حقاً، سعى في الأسباب، وسلم أمره إليه، دون خوف أو قلق.

وفي ضوء ما سبق: كان البدء بالحديث عن قيمة "اليقين"، فهي الأولى بالتقديم؛ لأن اليقين هو الأساس الذي يُبنى عليه التوكل وهو أعلى مراتب الإيمان، فاليقين بالله يشكل العقيدة الراسخة

---

[19] اليقين في اللغة: يقول ابن فارس: «الياء والقاف والنون: اليقن واليقين: زوال الشك. يقال يقنت، واستيقنت، وأيقنت». (معجم مقاييس اللغة، (157/6). وأما تعريفه اصطلاحاً: فهو «الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع، وقيل: عبارة عن العلم المستقر في القلب لثبوته من سبب متعين له بحيث لا يقبل الانهدام، من (يقن الماء في الحوض) إذا استقر ودام». ينظر: أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ص979، 980).

ISSN : 2410-1818

والإيمان العميق بأن الله تعالى هو المدبر، القادر، الحكيم، وهذا اليقين، هو الذي يدفع الإنسان إلى التوكل على الله تعالى في أموره، مع الأخذ بالأسباب. وه

وبعبارة موجزة: اليقين يمثل الاعتقاد الجازم، والتوكل: يمثل التطبيق العملي لهذا الاعتقاد.

وبدون اليقين، قد يتحول التوكل إلى "تواكل"، أو اعتماد شكلي، دون ثقة حقيقية بالله تعالى، ولذلك نجد القرآن الكريم غالباً ما يربط التوكل بالإيمان المرتبط باليقين، كما في قوله تعالى: **{وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣}** [المائدة:23].

وأما عن قيمة "اليقين" في صلاة الاستسقاء، فتظهر من خلال:

1- تضرع المؤمنين بالدعاء والطلب من الله تعالى في أوقات الشدة والجفاف، مُعبرين عن ثقتهم التامة بأن الله يسمع دعاءهم وهو القادر على تبديل الحال.
2- إقامة صلاة الاستسقاء بصورة جماعية يعكس يقينًا جماعيًا بأن الله بيده الخير، وأنه مهما طالت مدة القحط، فإن رحمته لن تتأخر، هذا اليقين يمنح المؤمنين طمأنينة ويقينًا بأن الله رحيم، وأن تأخر نزول الغيث لا يعني غياب رحمته، بل يأتي وفق حكمة إلهية تتجاوز الإدراك البشري، وصدق الله القائل: **{وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٨}** [الشورى:28].
3- علاوة على ما سبق، يُظهر اليقين بالله في سياق صلاة الاستسقاء بعداً يتمثّل في تعليم المؤمنين فضيلة الرضا بقضاء الله والتسليم لحكمته، بعيدًا عن القلق أو الاضطراب. كما أن اليقين ينعكس في قناعة المؤمن بأن الفرج قريب، تمامًا كما نجى سيدنا يونس عليه السلام من بطن الحوت، ويُسِّر لسيدنا أيوب عليه السلام رفع البلاء. لذلك تصبح صلاة الاستسقاء وسيلة عملية لترسيخ اليقين بالله في حياة المؤمنين، مُعززةً سلوكيات الإيمان والتوكل والثقة المطلقة بالله، مما يدفعهم إلى التعامل مع مختلف تحديات الحياة بإيمان ثابت لا يتزعزع.

ISSN : 2410-1818

المطلب الثاني: قيمة التوكل على الله:

التوكل في اللغة: قال ابن فارس: في مادة (وك ل): «"الواو والكاف واللام": أصل صحيح يدل على اعتماد غيرك في أمرك. من ذلك الوكلة، والوكل: الرجل الضعيف. يقولون: وكلة تكلة. والتوكل منه، وهو إظهار العجز في الأمر والاعتماد على غيرك. وواكل فلان، إذا ضيع أمره متكلا على غيره. وسمي الوكيل؛ لأنه يوكل إليه الأمر»[20]. وقال ابن منظور: «وَكَلَ بالله وتوكَّل عليه، واتَّكل: استسلم إليه»[21].

وأما "التوكل" في الشرع: فقد تنوعت عبارات العلماء من السلف والخلف، منها: تعريف الإمام أحمد، لما سئل عن التوكل؛ قال: «هو: قطع الاستشراف بالإياس من الخلق»[22].

ورُوي عن السلف أقوال متقاربة، يكمل بعضها بعضًا، وأجمع تعريف للتوكل ما ذكره الحافظ ابن رجب بقوله: «وحقيقة التوكل: هو صدق اعتماد القلب على الله ﷻ في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة. ولا يكون المؤمن متوكلًا على الله حق توكله إلا بالثقة بالله، وحسن الظن به سبحانه، والتسليم لأمره»[23].

من أعظم القيم الإسلامية التي يتعلمها المسلم من صلاة الاستسقاء: "قيمة التوكل على الله"، وهي قيمة نابعة من توحيد الله تعالى، وتجسيد عملي لقيمة "اليقين"- كما تقدم - فصلاة الاستسقاء تجسّد الاعتقاد الراسخ بأن الله تعالى هو خالق كل شيء، وهو الجدير بالعبادة، والتوكل عليه، كما قال تعالى: {ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢} [الأنعام:102]. وقال تعالى: {ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢} [الزمر:62].

(20) معجم مقاييس اللغة، (126/6).

(21) لسان العرب ، (724/11).

(22) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، مناقب الإمام أحمد، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط2، 1409هـ، (ص272).

(23) ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن الحسن، جامع العلوم والحكم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1422هـ – 2001م، (497/2).

ISSN : 2410-1818

وأصل التوكل: ما ورد في القرآن والسنة [24]:

فمن القرآن الكريم، قوله تعالى: {وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ١٢} [إبراهيم:12]. وقوله تعالى: {وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ٥١} [التوبة:51]. وقوله تعالى: {فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٥} [يونس:85].

ومن السنة النبوية: عن أبي تميم الجيشاني قال: سمعت عمر ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا))[25].

فالمؤمن متوكل على الله ﷻ في جميع أحواله؛ لأنه يعلم قدرة الله وعظمته، فالله ﷻ من أسمائه: "الوكيل"، وهو الذي يتوكل عليه المؤمن، فيفوض الأمور كلها إليه ليأتي بالخير، ويدفع الشر.

والتوكل: عمل قلبي من أعظم أعمال القلوب، يرتكز على معرفة بالله ﷻ وبأسمائه وصفاته[26]، فهو سبحانه القادر على كل شيء وما نزول الغيث إلا جزء من قدرته جل وعلا، والمتأمل في حال المتوكل في صلاة الاستسقاء يرى أنه يتوكل على الله ﷻ في نزول الغيث، مع الأخذ بالأسباب الشرعية، من: التوبة، والصدقة، ورد المظالم، والخروج إلى صلاة الاستسقاء بكيفية معينة اقتداء برسول الله ﷺ فقد خرج إليها متبذلا متخشعا متضرعاً[27].

فصلاة الاستسقاء عبادة من العبادات التي تعزز قيمة " التوكل على الله"، حيث يتوجه المسلمون لمن بيده ملكوت كل شيء {قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨} [المؤمنون:88]. فهو وحده تعالى المرجع الحقيقي للمسلم في أوقات الشدائد والمصائب {فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣} [يس:83].

---

[24] ينظر في تفاصيل الأدلة على التوكل من القرآن والسنة: ابن الفراء، القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين، التوكل، تحقيق: يوسف بن علي الطريف، دار الميمان للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1435هـ - 2014م، (ص22 - 25).

[25] سنن ابن ماجه كتاب: الزهد، باب: التوكل واليقين، (1394/2)، ح:(4164)، قال الشيخ الألباني: صحيح.

[26] ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط3، 1416 هـ - 1996م، (120/2).

[27] ينظر: ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت- مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط27، 1415هـ -1994م، (429/1).

ISSN : 2410-1818

تؤكد صلاة الاستسقاء على أهمية التوكل على الله - سبحانه وتعالى - في طلب المطر الذي به حياة الإنسان والحيوان، قال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ٣٠} [الأنبياء:30].

ولا يقتصر ذلك على الإنسان «بل يدخل فيه النبات والشجر؛ لأنه من الماء صار ناميا وصار فيه الرطوبة والخضرة والنور والثمر»[28].

والحاجة إلى الماء قائمة على مر الأزمنة والعصور، ولا يمكن الاستغناء عنه بالرغم مما أوجدته البشرية من تقدم، وما أبدعته من اكتشافات لوسائل التخزين ومشاريع الخزن الاستراتيجي.

وديمومة التوكل على الله سبحانه هي ما يسير عليه المسلم في حياته كلها، ولا يختزل في هذه الصلاة ولا في غيرها من أنواع العبادات والقربات، ولكن لانتفاء الأسباب الأرضية وفي حالة الاضطرار هذه ناسب ذكر هذه العبادة القلبية وظهور أهميتها في صلاة الاستسقاء على وجه خاص.

لكن ما دلالة صلاة الاستسقاء على التوكل على الله تعالى؟

والجواب: إن دلالة وتضمن صلاة الاستسقاء لقيمة التوكل على الله تعالى، تظهر بصورة جلية من خلال معرفة العلاقة بين التوكل والاستسقاء، ولبيان تلك العلاقة نستحضر ما قاله ابن القيم - عليه رحمة الله - وهو يتحدث عن حقيقة التوكل بقوله: «أن التوكل حال مركبة من مجموع أمور، لا تتم حقيقة التوكل إلا بها» [29] وهذه الأمور سنذكرها موجزة، - مع ربطها بشعيرة الاستسقاء التي تتجلى فيها قيمة "التوكل" - على النحو الآتي:

1- المعرفة بالله وصفاته من: «قدرته، وكفايته، وقيوميته، وانتهاء الأمور إلى علمه، وصدورها عن مشيئته وقدرته. وهذه المعرفة أول درجة يضع بها العبد قدمه في مقام التوكل»[30]، والمتأمل في صلاة الاستسقاء، يجد أنها تتطلب إيمانًا عميقًا بقدرة الله ﷻ على إنزال المطر، ومعرفة بصفاته من العلم، والقدرة، والقيومية، فالمسلم يأتي مستشعرًا عظمة الله وقدرته على تغيير الأحوال، مما يعزز من رسوخ التوكل في قلبه.
2- الأخذ بالأسباب: وهي من تمام التوكل على الله تعالى، «فمن نفاها فتوكله مدخول... ونفاة الأسباب لا يستقيم لهم توكل ألبتة؛ لأن التوكل من أقوى الأسباب في حصول المتوكل فيه. فهو

---

[28] الفخر الرازي، محمد بن عمر التيمي، مفاتيح الغيب" التفسير الكبير"، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3، 1420هـ، (138/22).

[29] ابن القيم، مدارج السالكين، " (118/2).

[30] المرجع السابق، (118/2).

ISSN : 2410-1818

كالدعاء الذي جعله الله سبباً في حصول المدعو به» [31]، والدعاء من شعائر صلاة الاستسقاء، ومن صور أدائه[32] الذي جعله الله تعالى سبباً لحصول المتوكل فيه (نزول المطر)، ففي حديث أنس بن مالك: ((أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر، ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسول الله قائما فقال: يا رسول الله، هلكت المواشي، وانقطعت السبل؛ فادع الله يغيثنا. قال: فرفع رسول الله يديه فقال: "اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا". قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب، ولا قزعة، ولا شيئا، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار. قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء ،انتشرت، ثم أمطرت. قال: والله، ما رأينا الشمس ستا، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله قائم يخطب، فاستقبله قائما، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل؛ فادع الله يمسكها. قال: فرفع رسول الله يديه، ثم قال: اللهم حوالينا، ولا علينا، اللهم على الآكام، والجبال، والآجام، والظراب والأودية، ومنابت الشجر. قال: فانقطعت، وخرجنا نمشي في الشمس. قال شريك: فسألت أنسا: أهو الرجل الأول؟ قال: لا أدري))[33].

3- ترسيخ التوحيد: «فإنه لا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيده، بل حقيقة التوكل توحيد القلب»[34]، وهذا المعنى الإيماني التوحيدي بارز في صلاة الاستسقاء، حيث لا يلتفت القلب إلى أي قوة أخرى غير الله ﷻ، فهو الوحيد القادر على إنزال المطر وإحياء الأرض بعد موتها، يتجلى هذا التوحيد الخالص في التوجه الكلي لله، بعد الأخذ بالأسباب من: الدعاء، والاستغفار، والتوبة كما قال تعالى: {فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ١١} [نوح:10 - 11]. وقوله تعالى: {وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ٥٢} [هود:52]. ولكن كثيراً من الناس قد أخلّوا بمبدأ التوحيد في الاستسقاء، فينسبون نعمة المطر لغير الله تعالى، فقد جاء حديث زيد بن خالد الجهني أنه قال: ((صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية، على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف، أقبل على الناس، فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أصبح من عبادي:

---

[31] ينظر: ابن القيم، مدارج السالكين، (119/2).

[32] مرّ في التمهيد أن الاستسقاء سنة مؤكدة، وهناك صور لأدائه، وكيفية إقامته، ومنها: الصلاة، والدعاء في خطبة الجمعة، والدعاء في أدبار الصلوات، أو الدعاء من غير صلاة ولا خطبة، وأكملها وأفضلها: الصلاة بركعتين جماعة في المصلى، مع إقامة الخطبة. ينظر: القاري، علي بن سلطان محمد، الاستدعاء في الاستسقاء، تحقيق: مشهور حسن سلمان، المكتب الإسلامي، بيروت – دار عمار، عمّان، ط1، 1410هـ – 1990م، (ص 10).

[33] صحيح البخاري كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في المسجد الجامع، (343/1) ح (967)

[34] ابن القيم، مدارج السالكين، (120/2).

ISSN : 2410-1818

مؤمن وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي، وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي، ومؤمن بالكوكب))[35].

4- اعتماد القلب على الله: «واستناده إليه، وسكونه إليه، بحيث لا يبقى فيه اضطراب من تشويش الأسباب، ولا سكون إليها، بل يخلع السكون إليها من قلبه. ويلبسه السكون إلى مسببها» [36]. والمسلم يُظهر في صلاة الاستسقاء اعتمادًا كاملاً على الله، فلا يتعلق قلبه بأسباب مادية، بل يستمد الأمل والثقة من الله كمسبب الأسباب ومدبر الأمر {يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢} [الرعد:2]. وهذا من تمام "اليقين بالله".

5- حسن الظن بالله: يقول ابن القيم: «فعلى قدر حسن ظنك بربك ورجائك له، يكون توكلك عليه، ولذلك فسر بعضهم التوكل: بحسن الظن بالله. والتحقيق: أن حسن الظن به يدعوه إلى التوكل عليه؛ إذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنك به، ولا التوكل على من لا ترجوه»[37]. وما خروج المسلم لصلاة الاستسقاء، ودعاء ربه إلا باب من أبواب حسن الظن بالله تعالى، يرجو رحمته، ويستجيب دعاءه، بتغيير الأحوال بإنزال الغيث.

6- الاستسلام لتدبير الله: وقد فسره بعضهم بقوله: «أن يكون العبد بين يدي الله، كالميت بين يدي الغاسل، يقلبه كيف أراد، لا يكون له حركة ولا تدبير»[38].

والمسلم في صلاة الاستسقاء، مستسلم لتدبير الله تعالى، سواءً أُنزل المطر أم لم يُنزل، مع القبول بقضاء الله وقدره، وأن ما يقدره الله له خير، وهذه المرتبة في التوكل، ثمرة من ثمار حسن الظن بالله تعالى: {فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٧} [الصافات:87]. وفي حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ ((يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إليّ شبرا، تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إليّ ذراعاً، تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي، أتيته هرولة))[39].

7- تفويض الأمر لله: «وهو روح التوكل ولبه وحقيقته، وهو إلقاء أموره كلها إلى الله، وإنزالها به طلبا واختياراً، لا كرها واضطراراً. بل كتفويض الابن العاجز الضعيف المغلوب على أمره: كل

---

[35] صحيح البخاري كتاب: صفة الصلاة، باب: يستقبل الإمام الناس إذا سلم، (290/1) ح (810).

[36] ابن القيم، مدارج السالكين، (121/2).

[37] مدارج السالكين، (121/2).

[38] المرجع السابق، (121/2، 122).

[39] صحيح البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى {ويحذركم الله نفسه}، وقوله جل ذكره: {تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك}، (2694/6)، ح (6970).

ISSN : 2410-1818

أموره إلى أبيه، العالم بشفقته عليه ورحمته، وتمام كفايته، وحسن ولايته له، وتدبيره له. فهو يرى أن تدبير أبيه له خير من تدبيره لنفسه، وقيامه بمصالحه وتوليه لها خير من قيامه هو بمصالح نفسه وتوليه لها. فلا يجد له أصلح ولا أرفق من تفويضه أموره كلها إلى أبيه، وراحته من حمل كلفها وثقل حملها، مع عجزه عنها، وجهله بوجوه المصالح فيها، وعلمه بكمال علم من فوض إليه، وقدرته وشفقته»[40]، وقد تجلّت هذه المعاني التوحيدية في كمال التوكل على الله تعالى في صلاة الاستسقاء، حيث يتم تفويض الأمر كله لله، وفي وعي المسلم الحقيقي، لا أرأف، ولا أرحم من الله تعالى { وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ٤٣} [الأحزاب:43].

المطلب الثالث: قيمة حسن الظن بالله.

إن "حسن الظن بالله" يدخل ضمن حقيقة التوكل على الله تعالى، فالتوكل على الله تعالى يقتضي حسن الظن به تعالى، فقد جاء عن ابن أبي حاتم، قال: سألت عبد الله بن داود عن التوكل، فقال: "أرى أن التوكل حسن الظن بالله" مع أهمية تحري الأعمال الصالحة التي تعزز حسن الظن بالله تعالى، جاء عن الحسن البصري -رحمه الله- قوله: «إن المؤمن أحسن الظن بربه، فأحسن العمل، وإن الفاجر أساء الظن بربه، فأساء العمل"[41].

ولأهمية حسن الظن بالله تعالى، والتفاؤل بالخير باعتباره قيمة إيمانية عظيمة، فهو من تمام الإيمان، وقد كان «ابن مسعود ﷺ يحلف بالله تعالى ما أحسن عبد بالله تعالى ظنّه إلا أعطاه الله تعالى ذلك، لأن الخير كله بيده، أي: فإذا أعطاه حسن الظن بالله تعالى، فقد أعطاه ما يظنه؛ لأن الذي حسن ظنه به هو الذي أراد أن يحققه له»[42].

إن حسن الظن بالله هو يقين المسلم بقدرة الله ورحمته، وهو اعتقاد جازم بأن الله ﷻ لا يرد دعاء عباده المخلصين، بل يجيبهم بما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة. يقول ابن القيم: "كلما كان العبد حسن الظن بالله، حسن الرجاء به، صادق التوكل عليه، فإن الله لا يخيب أمله فيه البتة"[43].

---

[40] ابن القيم، مدارج السالكين، (2/ 122).

[41] ابن القيم، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، دار المعرفة، المغرب، ط1، 1418هـ - 1997م، (ص25).

[42] أبو طالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1426 هـ -2005م، (259/2).

[43] ابن القيم، مدارج السالكين، (469/1).

ISSN : 2410-1818

8- والأصل في "حسن الظن بالله تعالى": القرآن الكريم، والسنة المطهرة، ومن ذلك:

في القرآن الكريم: قال الله تعالى: {ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ٤٦} [البقرة:46]. وقال تعالى: {قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةُۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٢٤٩} [البقرة:249]. وقال تعالى: { وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ } [البقرة:195]. جاء عن سفيان الثوري -رحمه الله-: «{وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ }: أي أحسنوا بالله تعالى الظنّ»[44].

وأما في السنة النبوية: فقد وردت أحاديث في الأمر بحسن الظن بالله، ومنها: حديث جابر بن عبد الله ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بثلاث: ((لا يموت أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله))[45]، وحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: ((يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي))[46].

مضامين حسن الظن بالله تعالى في صلاة الاستسقاء:

"حسن الظن بالله تعالى" قيمة إيمانية تضمنتها صلاة الاستسقاء، بيان ذلك كالآتي:

أولاً: التوجه إلى الله تعالى بهذه الشعيرة: دون سواه: وفيه دلالة على حسن الظن بالله تعالى، ويتمثل هذا التوجه، بالخروج إلى المصلى لصلاة الاستسقاء بتذلل وخضوع لله، وفي هذا تعبير عن ثقتهم بالله وحسن ظنهم به تعالى في إجابة طلبهم.

وتظهر قيمة "حسن الظن بالله" بصورة أكبر في أوقات الشدائد والمحن، ومنها: حصول الجدب، إذ لا منجي منها إلا الله تعالى، {أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢} [النمل:62].

ثانياً: اليقين باستجابة الدعاء: فالمؤمن في مواقف الشدة ومنها القحط والجدب، يستجيب لأمر الله فيدعوه وحده، وهو موقن بالإجابة: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠} [غافر:60].

---

(44) أبو طالب المكي، قوت القلوب، (259/2).

(45) سنن أبي داود أول كتاب الجنائز، باب ما يستحب من حسن الظن بالله عند الموت، (189/3) ح (3113) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(46) سبق تخريجه.

ISSN : 2410-1818

وهذا وعد إلهي صريح بالإجابة، بشرط حصول اليقين، كما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه))[47].

ثالثاً: الإيمان بأقدار الله، وتفهم المؤمن حكمة الله في تأخر الإجابة: قد يتأخر نزول المطر؛ لحكمة يعلمها الله، وهو ما يزيد المؤمن يقيناً أن الله يريد لعباده الخير.

والمؤمن الذي يحسن الظن بربه، فيدعوه، ويرجوه، ويخرج إلى المصلى يطلب منه الغيث، يعلم يقيناً بأن الله تعالى لن يخيب دعائه، ولن يخذل توكله ورجاءه، فهو يعلم أن الله رحيم بعباده: {وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٨} [الشورى:28]، {۞ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ } [الأعراف:156].

رابعاً: الاستعداد بأعمال القلب والجوارح قبل الصلاة: من التوبة، والذكر، والصدقة، والاستغفار {فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١} [نوح:10 - 11]. {وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ٥٢} [هود:52].

حيث إن صلاة الاستسقاء باب من أبواب الولوج إلى التوبة والإقلاع عن المعصية التي حرم بسببها الناس القطر من السماء، فعندما يستحضر المسلم أن معاصيه عائقاً لنزول الغيث يقلع عن المعصية ويتوجه إلى الله - سبحانه وتعالى - عاقداً العزم على ترك الذنوب والآثام، ومن أعظم الذنوب التي تمنع القطر من السماء: منع زكاة المال، وهي تعطيل للركن الثاني من أركان الإسلام، جاء في الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: ((يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم))[48].

---

[47] سنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، (517/5)، ح (3479) قال الشيخ الألباني: حسن.

[48] سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب العقوبات، (1332/2) ح (4019) قال الشيخ الألباني: حسن.

ISSN : 2410-1818

المطلب الرابع: قيمة التفاؤل بالخير وعدم القنوط من رحمة الله تعالى:

التفاؤل: في اللغة: مصدر للفعل "تفاءل"، يقال: تَفاءَلتُ به، وتَفألتُ به، وهو على وزن "تفاعل": وهو ضد التشاؤم، كما أن الفأل ضد الطيرة، وهذا هو الغالب في معناه، وقد يطلق الفأل على ما لا يحب المرء، فيقال: لا فأل عليك، بمعنى: لا ضير عليك، ولا شر عليك[49].

وأما تعريف "التفاؤل" اصطلاحاً: فهناك تعاريف كثيرة، ومن أحسنها، أنه: "صفة تجعل توقعات الفرد، وتوجهاته إيجابية نحو الحياة بصفة عامة، يستبشر الخير فيها، ويستمتع بالحاضر، ويحدوه الأمل في مستقبل أكثر إشراقاً، وأحسن حالاً"[50].

صلاة الاستسقاء تعلم المؤمن قيمة "التفاؤل"، وعدم اليأس؛ لأن اليأس من صفات الكافرين، كما قال تعالى: {وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ٨٧} [يوسف:87].

والتفاؤل معلم من معالم "حسن الظن بالله"، وتظهر هذه القيمة "التفاؤل" بوضوح في صلاة الاستسقاء، بل لا نبالغ إن قلنا: إن هذه الصلاة، هي صلاة تفاؤل ورجاء، حيث يتفاءل المسلمون بنزول الغيث بعد أدائها، ويرجون رحمة الله.

ومن أبرز صور التفاؤل في صلاة الاستسقاء: قلب الرداء، تفاؤلاً بتحول الحال: من الجدب إلى الخصب، وقد كان ذلك من فعل النبي ﷺ[51]. وفي هذا الفعل من النبي ﷺ بتحويل رداءه، كتعبير عن التفاؤل بالخير، درس عظيم للأمة، بالتزام هذه القيمة، لما لها من آثار إيجابية في الحياة، ومن تلك الآثار الإيجابية:

1- تعزيز الصحة النفسية: أظهرت الدراسات أن التفاؤل يقلل من القلق والاكتئاب، مما ينعكس إيجاباً على الصحة النفسية للمؤمن، ففي دراسة أجرتها الدكتورة (ترودي تشالدر)، من كلية توماس الطبية في لندن على مرضى في الإرهاق المزمن، ثبت دور التفاؤل في التخفيف من حدة الأعراض التي يعانون منها، حيث قامت الباحثة بتنظيم اثنتي عشرة جلسة للعلاج بالسلوك الإدراكي، تضمنت جميعها تحفيز المرضى على التفكير الإيجابي إزاء حالتهم، وبعد ستة أشهر انخفض مستوى التعب،

---

[49] انظر: ابن منظور، لسان العرب (513/11).

[50] العسكر، عبد الله بن محمد، التفاؤل في زمن الكروب، دار ورسالة البيان للنشر والتوزيع، ط1، 1439هـ – 2018م، (ص12).

[51] ينظر: ابن القيم، زاد المعاد، (440/1).

ISSN : 2410-1818

وتعززت قدراتهم على أداء مهامهم في حياتهم، بل أثبت بعض الدراسات تأثير التفاؤل الإيجابي في معالجة بعض الأمراض المستعصية[52].

2- تحقيق السكينة والطمأنينة: فالمسلم المتفائل الذي يحسن الظن بربه، يشعر بالسكينة حتى في أصعب الظروف، إذ يدرك أن كل ما يصيبه هو بتقدير الله الحكيم، قال تعالى: {مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١} [التغابن:11].

3- يبعث التفاؤل على الهمة، وينشر العزيمة، ويولد الحماسة في النفس لمزيد من العمل والعطاء، ويهب المرء القوة، والشجاعة في مواجهة الصعاب، وتجاوز العقبات وهو من علائم الثقة بالله، وحسن الظن به[53].

وخلاصة القول: إن صلاة الاستسقاء تمثل نموذجاً عملياً لحسن الظن بالله تعالى، والتفاؤل بالخير، حيث تعكس يقين العبد بأن الله تعالى رحيم بعباده، وأنه يستجيب الدعاء متى ما لجأ إليه العباد بتضرع وإخلاص، وهي بذلك تؤكد أهمية قيمة حسن الظن بالله، وترسخ التفاؤل كقيمة عملية، لحياة أجمل وأفضل.

---

[52] العسكري، التفاؤل في زمن الكروب، (ص24، 25).

[53] المصدر السابق، (ص16).

ISSN : 2410-1818

المبحث الثاني: القيم التعبدية المستنبطة من صلاة الاستسقاء

المطلب الأول: قيمة الخشوع والخضوع لله:

حقيقة الخشوع[54]، أنه:" هيئة في النفس يظهر على الجوارح سكون وتواضع"[55]. والخشوع والخضوع[56] لله تعالى من أهم مقاصد العبادات في الإسلام، حيث يجسدان استسلام العبد المطلق لله، واعترافه بضعفه أمام قوته وجبروته. وصلاة الاستسقاء تمثل أبرز مظاهر الخشوع والخضوع لله في الجمع العملي بين الخشوع القلبي، والخضوع الجسدي، حيث يؤديها الناس في أوقات الجفاف والجدب، مستشعرين افتقارهم إلى رحمة الله تعالى، ومتضرعين إليه بقلوب خاشعة، وأجساد خاضعة يرجون رحمة الله وغوثه. وقلب الرداء في صلاة الاستسقاء يرمز كذلك للخضوع المطلق لله تعالى، وكأنه تعبير جسدي للخضوع، لطلب الرحمة وتغيير الحال.

وقد ورد لفظا "الخشوع والخضوع " في مواطن عديدة من القرآن الكريم، ومن ذلك:

فقوله تعالى: {قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢} [المؤمنون:1-2]، وقوله تعالى: {يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا ١٠٨} [طه:108]، وقوله تعالى: {إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ٤} [الشعراء:4].

وجاء عن عَبْد اللَّه بن حكيم قَالَ: «خطبنا أبو بكر ﷺ ثُمَّ قَالَ: "أما بعد، فإني أوصيكم بتقوى اللَّه، وتثنوا عليه بما هُوَ لَهُ أَهْل، وتخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن اللَّه

---

[54] الخشوع في اللغة: قال ابن فارس: «(خشع): الخاء، والشين، والعين: أصل واحد، يدل على التطامن. يقال خشع، إذا تطامن وطأطأ رأسه، يخشع خشوعا. وهو قريب المعنى من الخضوع، إلا أن الخضوع في البدن والإقرار بالاستخذاء، والخشوع في الصوت والبصر» (معجم مقاييس اللغة، (182/2)، وقال الراغب: «الخُشُوع: الضّراعة، وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح. والضّراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب ولذلك قيل فيما روي: روي: "إذا ضرع القلب خَشِعَتِ الجوارح"» مفردات غريب القرآن (ص282)..

[55] الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ، (94/1).

[56] الخضوع: جاء بمعنى الخشوع، إلا أن الخشوع أعم من الخضوع، كما قال ابن فارس سابقا، ويقول الإمام البغوي مؤكدا هذا الفرق: «والخشوع قريب من الخضوع، إلا أن الخضوع في البدن، والخشوع في القلب والبدن والصوت، قال تعالى: ﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾ (طه: 108) معالم التنزيل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط1، 1420هـ، (256/3).

ISSN : 2410-1818

ﷺ أثنى عَلَى زكريا وأهل بيته فقال: {فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠}» [57] [الأنبياء:90].

ومن أهم مظاهر الخشوع والخضوع في صلاة الاستسقاء ما يأتي:

أولاً: استشعار الفقر، والضعف بين يدي الله تعالى: صلاة الاستسقاء تؤدى في أوقات الشدة والقحط والجدب، حيث يشعر الناس بعجزهم أمام قوة الله تعالى، مما يجعلهم في حالة خشوع وخضوع كامل لقدرة الله، والتذلل في طلب عفوه ورحمته، قال تعالى: {۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥} [فاطر:15].

وفي صلاة الاستسقاء تدريب عملي للمسلمين على اللجوء إلى الله تعالى في أوقات المحن، مما يقوي علاقتهم به تعالى {فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠} [الذاريات:50].

وهذا هو منهج القرآن الكريم في التربية الإيمانية في الأوقات العصيبة، قال الله تعالى واصفاً حال الثلاثة من الصحابة المتخلفين عن غزوة تبوك، بعدما ضاقت عليهم الأرض: {وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨} [التوبة:118].

ثانياً: الاضطرار إلى الله، والتذلل في الدعاء: فصلاة الاستسقاء مصحوبة بالدعاء الحار، والتوسل إلى الله بخشوع وخضوع تامين، فعن أنس ﷺ: ((أن النبي كان يستسقي هكذا يعني: ومد يديه، وجعل بطونهما مما يلي الأرض، حتى رأيت بياض إبطيه))[58]. ومع التذلل في الدعاء، يكون التذلل والخضوع بالجوارح والمظهر الخارجي، فقد خرج النبي ﷺ إلى صلاة الاستسقاء متبذلاً متخشعاً متضرعاً[59].

ثالثاً: الاعتراف بسلطان الله تعالى المطلق: فصلاة الاستسقاء تجسّد الإقرار بأن المطر بيد الله وحده، ولا سلطان للإنسان عليه، وفي حال انقطاعه، يُظهِر الإنسان حاجته إلى رحمة الله، بتذلل

---

[57] ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن المنذر التميمي الرازي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الخطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ط3، 1419هـ، (2466/8).

[58] سنن أبي داود كتاب الصلاة، باب رفع اليدين في الاستسقاء، (303/1) ح (1171) قال الألباني: صحيح.

[59] ينظر: ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، (429/1).

ISSN : 2410-1818

وخشوع وخضوع لسلطان الله، {وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٢٤} [الروم:24].

وفي هذا درس عظيم للمسلمين في الواقع المعاصر، حيث تعزز صلاة الاستسقاء في وعي المسلمين بأنهم مهما بلغوا من التقدم، فإنهم لا يملكون من أمرهم شيئاً، والأمر كله لله، وصدق الله القائل: {قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١} [يونس:31].

رابعاً: التوبة والاستغفار: وهما من أبرز مظاهر الخضوع لرب العالمين الذي ربط بين التوبة ونزول المطر في قوله تعالى: **{فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١} [نوح:10 - 11].**

إن صلاة الاستسقاء من أبرز الشعائر التعبدية، التي تمثل قيمة "الخشوع والخضوع"، حيث تجسد انكسار العبد أمام قدرة الله تعالى، واستسلامه الكامل لإرادته، وهي بهذا المفهوم، ليست مجرد طلب للمطر، بل تجربة إيمانية راقية، تعمق العبودية الحقة لله، وتذكر الإنسان بضعفه أمام عظمة خالقه.

المطلب الثاني: قيمة الإقرار بالذنب والاعتراف بالخطأ:

وهذا الإقرار مظهر من مظاهر العبودية الله تعالى والإنابة إليه، فصلاة الاستسقاء ليست مجرد طلب للمطر - كما تم التأكيد على ذلك سابقاً - بل هي دعوة للتوبة، والاستغفار من الذنوب، قال ابن قدامة -رحمه الله-: « وإذا عزم الإمام على الخروج، استحب أن يعد الناس يوماً يخرجون فيه، ويأمرهم بالتوبة من المعاصي، والخروج من المظالم، والصيام، والصدقة، وترك التشاحن؛ ليكون أقرب لإجابتهم، فإن المعاصي سبب الجدب، والطاعة تكون سبباً للبركات، قال الله تعالى: {وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦} [الأعراف:96]»[60].

وصلاة الاستسقاء تعمل على تعزيز ثقافة الاعتراف بالخطأ؛ حيث إنها تربي في نفس المسلم عدم المكابرة في الاعتراف بأخطائه، فالعبد الذي يقترف إثماً في حق ربه، ويتوب إلى الله معترفاً بإثمه، لا يبالي بأن يعترف بخطئه في حقوق المخلوقين، وهذا الأثر النبيل لقيمة التواضع يعزز قيم التسامح بين الناس.

[60] ابن قدامة، المغني، (3/ 335).

ISSN : 2410-1818

المبحث الثالث: القيم الاجتماعية المستنبطة من صلاة الاستسقاء

المطلب الأول: قيمة التواضع بين الناس:

يُعد التواضع[61] من أعظم القيم الخُلقية والاجتماعية التي تتجلى في سلوك المسلم في كل الأحوال والحالات والمواقف، والتواضع هو" تجمل النفس بالخضوع، ومنعها عن الترفع عن الناس، والاستخفاف بهم، وحملها على احترامهم، مهما اختلفت درجاتهم، وتباينت مشاربهم"[62].

وتظهر هذه القيمة واضحة جلية في العبادات التي تبرز افتقار العبد إلى ربه، ومن تلك العبادات: (صلاة الاستسقاء)، التي تعكس خضوع العبد وذله لربه عند حاجته إلى رحمة الله بإنزال الغيث، وهذا الخضوع في حد ذاته قيمة عظيمة وقفنا عليها في المطلب السابق، ولها علاقة مباشرة بقيمة التواضع بين الناس؛ فالمسلم الذي يمشي لصلاة الاستسقاء خاشعاً خاضعاً يرجو رحمة الله تعالى، لن تجده إلا متواضعاً بين الناس، غير متكبر عليهم، فالتواضع من آثار الصلاة في سلوك المؤمن، وعلامة على قبول صلاته عند ربه، فقد جاء في حديث عن ابن عباس-رحمه الله- قال: قال رسول الله ﷺ: ((قَالَ الله [عز وَجل] إِنَّمَا أتقبل الصَّلَاة مِمَّن تواضع بهَا لعظمتي وَلم يستطل على خلقي))[63].

فالمسلم الخاضع لربه، متواضع بين عباده، لا يتكبر ولا يتبختر؛ لأنه يعلم يقيناً أن الجبار المتكبر هو الله تعالى، كما وصف الله نفسه في كتابه: {هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣} [الحشر:23].

---

(61) التواضع في اللغة: مأخوذ من مادة: (و ض ع)، وهي تدل على: الخفض للشيء، والحط منه، ومن ذلك قولهم: وضعته بالأرض وضعاً، ووضعت المرأة ولدها، ويأتي بمعنى: التذلل والتخاشع، ومنه قولهم: تواضع: أي: تذلل وتخاشع. ويأتي بمعنى التوافق على الشيء، ومنه قولهم: أوضعته في الأمر: إذا وافقته فيه على شيء. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (297/8). والوضع أعم من الحط، ومنه الموضع، قال تعالى: ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ [النساء:46]. ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص874).

(62) الدجوي، أحمد سعيد، فتح الخلاّق في مكارم الأخلاق، مكتبة أسامة بن زيد، حلب – سورية، د. ط. (ص26).

(63) المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي، الترغيب والترهيب، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ، (204/1)، وذكره الألباني: في "ضعيف الترغيب والترهيب" (152/1).

ISSN : 2410-1818

والمتكبر يجهل حقيقة نفسه، منازع لله في صفته، فقد جاء في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((قال الله [عز وجل] الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار))[64].

ويمكن تحديد مظاهر اكتساب المسلم لقيمة التواضع من صلاة الاستسقاء في النقاط الآتية:

أولاً: الشعور بالمساواة بين المسلمين: فعند اجتماع المسلمين لأداء صلاة الاستسقاء، يقف الجميع في صف واحد، الحاكم بجانب المحكوم، والفقير بجانب الغني، والعلم بجانب الجاهل، وهذا الشعور بالمساواة، يعزز قيمة التواضع، بكسر الحواجز التي يفرضها التفاخر والتكبر، جاء في الحديث: ((إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا؛ حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد))[65].

وصلاة الاستسقاء مدرسة أخلاقية يتعلم فيها المسلمون خلق التواضع، وقد جسد النبي القدوة ﷺ خلق التواضع في صلاة الاستسقاء، فقد كان - كما مر سابقا - خروجه إليها ﷺ «مُتَوَاضِعًا، مُتَبَذِّلًا، مُتَخَشِّعًا، مُتَرَسِّلًا، مُتَضَرِّعًا»[66]، وفي ذلك دلالة على أن هذه الشعيرة تحث المسلمين على التواضع بين الناس.

ثانياً: التواضع في اللباس والمظهر: فمن سنن الاستسقاء: أن يخرج الناس متواضعين، متبذلين في لباسهم، غير متطيبين، نابذين لمظاهر الفخر والتكبر وراء ظهورهم، قال النووي -رحمه الله-: «ويستحب أن لا يتطيب وأن لا يخرج في زينة، بل يخرج في ثياب بذلة - بكسر الباء - وهي ثياب المهنة، وأن يخرج متواضعاً خاشعاً متذللاً متضرعاً ماشياً، ولا يركب في شيء من طريق ذهابه إلا لعذر كمرض ونحوه»[67].

وهذا السلوك مع كونه يرسخ شعورهم بفقرهم وحاجتهم إلى ربهم، فهو كذلك سلوك عملي لتجسيد قيمة التواضع فيما بينهم، وهذا السلوك الأخلاقي من أسباب دخول الجنة، والنجاة من النار، فقد جاء في الحديث الصحيح: ((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر. قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنة، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق

---

[64] سنن أبي داود كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، (59/4) ح (4090) قال الشيخ الألباني: صحيح.

[65] صحيح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، (2198/4) ح (2865)

[66] ابن القيم، زاد المعاد (439/1، 440).

[67] النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، المجموع شرح المهذب، دار الفكر، د. ط، (72/5).

ISSN : 2410-1818

وغمط الناس))[68]. فهذه الأعمال المستحبة تحمل المسلم على الاعتراف بتقصيره في جنب الله، وتجنب صفات: العجب والغرور والكبر، المنافية للتواضع.

ومن أبرز الآثار لقيمة التواضع في حياة المسلمين؛ تحقيق الطمأنينة والسلام النفسي: فالمتواضع لا يحمل في قلبه الحقد، أو الحسد، أو الغرور، أو الكبر، مما ينعكس على راحته النفسية، ويجعله محبوباً بين الناس.

المطلب الثاني: قيمة التعاون والتضامن:

التعاون[69] هو المساعدة على الحق؛ ابتغاء الأجر من الله[70]. وصلاة الاستسقاء شعيرة تعبدية تؤدى على نحو جماعي، وهذه الصفة في أدائها ترسخ مفهوم الوحدة والتعاون بين أفراد المجتمع المسلم، حيث يجتمعون بمختلف فئاتهم، وأعمارهم، طالبين الغوث من الله تعالى، بإنزال المطر، وهذا المشهد الجماعي من الصلاة والخطبة والدعاء يعزز في نفوس المسلمين قيمة التعاون والتراحم والتضامن، مصداقا لقول نبيهم ﷺ: ((مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))[71].

وتعد هذه الروح الجماعية في هذه الشعيرة استجابة لأمر الله تعالى في تطبيق قيمة التعاون في قوله تعالى: { وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢} [المائدة:2]. قال ابن القيم -رحمه الله-في تعليقه على الآية السابقة: «وقد اشتملت هذه الآية على جميع مصالح العباد في معاشهم ومعادهم، فيما بينهم في بعضهم بعضا، وفيما بينهم وبين ربهم...».

وصلاة الاستسقاء مناسبة عظيمة لغرس مفاهيم وقيم التعاون والتضامن، وتعزيز روح المشاركة الجماعية في مواجهة الأزمات.

---

[68] صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، (93/1) ح (91)

[69] التعاون في اللغة: مأخوذ من (العون)، والعون: الظهير على الأمر الواحد والاثنان والجمع، والجمع والمؤنث سواء، والمعونة: الإعانة، ورجل معوان: حسن المعونة، وكثير المعاونة للناس. (ينظر: ابن منظور: لسان العرب (299/12).

والتعاون: التظاهر، قال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [المائدة: 2]، والاستعانة: طلب العون، وقال: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ} (الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، (ص354).

[70] الخراز، خالد جمعة، موسوعة الأخلاق، مكتبة أهل الأثر، الكويت، د. ط، (ص441).

[71] صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (1999/4) ح (2586)

ISSN : 2410-1818

واجتماع المسلمين في صلاة الاستسقاء مظهر من مظاهر التعاون لتحقيق مصالح العباد في معاشهم، بإنزال المطر، إذ فيه حياة كل شيء {وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠} [الأنبياء:30]؛ فتستقيم حياتهم، ويؤدون الغاية من خلقهم في تحقيق العبودية لله تعالى: {وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦} [الذاريات:56].

والقيام بحق العبودية لله تعالى بهذه الشعيرة، يتحصل من خلالها المسلمون مصالحهم في الدنيا بإنزال المطر، وفي الآخرة بالظفر بجنته بعد يقينهم به، واستجابتهم لأمره، وتوكلهم عليه في الدنيا.

وتتجلى قيمة التعاون والتكاتف في صلاة الاستسقاء في النقاط الآتية:

أولاً: الاجتماع الجماعي في وقت الحاجة: فصلاة الاستسقاء شعيرة جماعية يؤديها المسلمون مجتمعين[72]، ترسخ مفهوم الجماعة الواحدة، والأمة الواحدة في نفوس المسلمين، {إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢} [الأنبياء:92]، {وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ٥٢} [المؤمنون:52].

وهذا الشعور يؤكد أن حل المشكلات الكبرى لا يتم بشكل فردي، وإنما يتطلب تظافر الجهود، والتعاون والتكاتف الجماعي، جاء في الحديث الصحيح: ((يد الله مع الجماعة))[73].

وفي اجتماع المسلمين لهذه الشعيرة وتأديتها بهذه الصورة التي تعزز التعاون والتكاتف فيها رسالة ضمنية لأعداء المسلمين بأن الإسلام دين الجماعة والاجتماع، وينبذ الفرقة والتشرذم، وفي ذلك قوة ومنعة، قال النبي ﷺ: ((أيها الناس، عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة! أيها الناس، عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة!))[74].

---

[72] أجاز الفقهاء أن تؤدى فرادى، والأفضل أن تؤدى بصورة جماعية بركعتين وخطبتين ينظر: النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، روضة الطالبين وعمدة الطالبين، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان، ط3، 1412هـ / 1991م، (90/2).

[73] سنن الترمذي كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في لزوم الجماعة، (466/4) ح (2166) قال الشيخ الألباني: صحيح.

[74] مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحاديث رجال من أصحاب النبي ﷺ (370/5) ح (23194) تعليق شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف لجهالة سلام والد زكريا

ISSN : 2410-1818

ثانياً: التضرع الجماعي والدعاء المشترك: حيث يخرج جميع المسلمين للاستسقاء، يصلون ويتضرعون، ويدعون بصورة جماعية تعاونية، بلسان الجماعة: «اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً، هنيئاً مريئاً، مريعاً نافعاً، غير ضار، عاجلاً غير آجل»[75].

ثالثاً: مساعدة الفقراء والمساكين: يسن تقديم الصدقات، والإحسان إلى الفقراء والمحتاجين قبل صلاة الاستسقاء [76]، وهذا يعني بصورة عملية تحقيق قيمة التعاون والتراحم بين الناس، من خلال إخراج الصدقات وإطعام الفقراء، وهذا السلوك يعزز من مفهوم التضامن الاقتصادي، حيث يدرك الأغنياء أن عليهم مسؤولية تجاه الفقراء، وهذا يسهم في تقوية الروابط الاجتماعية، والحد من الفجوات الاقتصادية بين الناس.

رابعاً: التوبة والاستغفار من الجميع: في صلاة الاستسقاء يخرج الناس متذللين مستغفرين، يطلبون رحمة الله تعالى، مما يجعل من التوبة ليست مجرد فعل فردي، بل حالة مجتمعية تعزز التعاون المشترك لدفع مصيبة الجدب والقحط، قال تعالى يخاطب الجميع: {فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١} [نوح:10-11].

وقيمة التعاون المستنبطة من صلاة الاستسقاء تترك آثاراً إيجابية في حياة المسلمين، من أهمها:

1- بناء مجتمع متماسك: حيث يتعلم المسلمون من صلاة الاستسقاء أهمية التعاون في أوقات الأزمات، فيصبح المجتمع أكثر ترابطاً وتماسكاً، وأقل عرضة للانقسامات والتفكك.

2- ترسيخ ثقافة العمل الجماعي لحل المشكلات: فصلاة الاستسقاء تعلم المسلمين أن المشكلات الكبرى، لا تحل بالجهود الفردية، بل تحتاج إلى تعاون جماعي منظم، وهو مفهوم يمتد إلى مختلف مجالات الحياة.

3- تحقيق السكينة العامة في أوقات الأزمات: التضرع الجماعي لله تعالى، يعزز الإيمان بالقضاء والقدر، ويمنح الناس إحساساً بالراحة والطمأنينة، ويقلل من القلق والخوف في أيام الشدائد، وأوقات المصائب.

---

[75] سنن أبي داود كتاب الصلاة، باب رفع اليدين في الاستسقاء، (303/1) ح (1169) قال الألباني: صحيح.

[76] ينظر: ابن قدامة، المغني (335/3).

ISSN : 2410-1818

المبحث الرابع: القيم البيئية المستنبطة من صلاة الاستسقاء

المطلب الأول: قيمة تعزيز ثقافة ترشيد المياه:

يُعد ترشيد استهلاك المياه من أهم القضايا الحيوية، المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمنظومة القيم الإسلامية، حيث يبرز هذا المفهوم بوضوح في سياقات عديدة من الأحكام الشرعية، والتوجيهات النبوية، ولعلّ صلاة الاستسقاء من أبرز الشعائر الإسلامية التي تُشعر المسلم بقيمة الماء، وتعزّز الوعي بأهمية ترشيد استخدامه.

ومن أهم الدلالات الشرعية لصلاة الاستسقاء في سياق ترشيد المياه، ما يأتي:

أولاً: التذكير بأن الماء نعمة إلهية:

قد لا يلتفت الناس إلى قيمة المياه، ولا يدركون أهميتها في أوقات توفرها، فيسيئون استخدامها، ويسرفون في استعمالها، حتى تأتي أوقات الجدب والقحط وانقطاع الأمطار، فيقع الضر، ويشتد البأس على الناس، ساعتها يتذكرون أن الماء نعمة عظيمة من نعم الله تعالى، به حياتهم وحياة كل شيء {وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠} [الأنبياء:30]. وهذه النعمة تستوجب الشكر؛ للحفاظ عليها: {وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧} [إبراهيم:7].

ومن شكر الله تعالى على هذا النعمة عدم الإسراف في استخدام المياه، وترشيد استعمالها، وقد تواترت النصوص الشرعية على أهمية التوسط والاعتدال في استخدام الماء، ومن ذلك: قوله تعالى: {وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١} [الأعراف:31].

فالسرف والتبذير في شريعة الإسلام عمل شيطاني: {إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ٢٧} [الإسراء:27].

ومن النماذج الإسلامية الرائعة التي تحث على الترشيد في استخدام المياه، ولو كان كثيراً يُستبعد نضوبه باستخدامه؛ مرور النبي ﷺ على سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وهو يتوضأ فقال له: ((لا تسرف في الماء، فقال: وهل في الماء من إسراف؟ قال: نعم، وإن كنت على نهر جار))[77].

[77] ابن القيم، زاد المعاد، (185/1).

ISSN : 2410-1818

وفي اجتماع الناس لصلاة الاستسقاء؛ طلباً للمطر، يترسخ في أذهانهم الارتباط الوثيق بين استقامة السلوك، ووفرة النعم، مما يدفعهم إلى الحفاظ على الماء، وتعزيز ثقافة مجتمعية بأهمية ترشيد المياه.

ومما يؤسف له الهدر الحاصل في الموارد المائية في حياة الكثير من المسلمين اليوم، ناسين أو متغافلين التوجيهات الإسلامية في ضرورة التوسط والاعتدال في استخدامها، وقد جاء في السنة النبوية نبوءة النبي ﷺ ما سيؤول إليه حال بعض المسلمين من هذه الأمة في هدر المياه في مقام التطهر للصلاة وهي عبادة، فكيف سيكون الحال في غيرها؟ وقد سمى ذلك اعتداء، فقال ﷺ: ((إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء))[78].

ثانياً: التأكيد على المسؤولية الجماعية تجاه الموارد المائية:

صلاة الاستسقاء تعزز الشعور بالمسؤولية الجماعية، في ضرورة الحفاظ على الموارد المائية، فكما أن المسلمين يؤدون الصلاة جماعة، وترتفع أيديهم جماعيا أيدي المسلمين بالدعاء في الاستسقاء، تطلب الغوث من الله، بإنزال المطر، فذلك يوحي بأن مسؤولية الحفاظ على المياه، يجب أن يكون التزاماً اجتماعياً، يؤسس لممارسات جماعية إيجابية لترشيد المياه، كإطلاق حملات توعية، وتبني برامج إعلامية، ومناشط دعوية، وتضمين ذلك في المناهج الدراسية.

وثقافة ترشيد المياه المستمدة من صلاة الاستسقاء تترك آثاراً إيجابية على حياة المسلمين، ويمكن إجمال ذلك في الآتي:

1- **الأثر الاقتصادي:** حيث يؤدي ترشيد المياه، إلى تقليل الضغط على شبكات المياه الجوفية، والمياه المحلاة من البحر، مما يقلل من النفقات والتكاليف الاقتصادية التي تذهب في البحث عن مصادر مياه جديدة تؤمن احتياجات الناس، كما أن استثمار المياه في مشاريع زراعية مستدامة بدلا من إهدارها، يعزز من الأمن الغذائي الذي تفتقده كثير من دول العالم الإسلامي.

2- **الأثر التربوي:** تربية النشء على احترام الماء كنعمة إلهية، مما يخلق لديهم الوعي الكافي في استهلاكهم اليومي من المياه بقدر الحاجة.

[78] سنن أبي داود كتاب الطهارة، باب الإسراف في الماء، (24/1) ح (96) قال الشيخ الألباني: صحيح.

ISSN : 2410-1818

المطلب الثاني: قيمة التوازن البيئي.

يقوم دين الإسلام على مبدأ (التوازن) في الكون، وهو ما يشير إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: {وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ٧} [الرحمن:7].

والجفاف الحاصل من انقطاع المطر، يعدُّ خللاً في الميزان البيئي، وصلاة الاستسقاء تعكس وعياً إسلامياً جاداً بهذا الخلل، وذلك بسعيهم لإعادة هذا التوازن من خلال صلاة الاستسقاء وما يرافقها من الدعاء والاستغفار، والصدقات..

كما أن صلاة الاستسقاء تشير بوضوح إلى أن العلاقة بين الإنسان والبيئة ليست علاقة استغلال، بل علاقة مسؤولية، لتحقيق الانسجام البيئي من خلال ما يأتي:

أولاً: ترشيد استهلاك الموارد الطبيعية:

الإسلام يحث على الاقتصاد في استخدام الموارد - ومنها المياه- وقد سبق معنا قول النبي ﷺ لسعد وهو يتوضأ: ((لا تسرف في الماء..)).

ثانياً: صلاة الاستسقاء فيها تذكير للمسلمين بأهمية ترشيد المياه؛ لأن الجفاف الناتج عن انقطاع المطر، يظهر قيمة هذه النعمة عند فقدانها، وبهذا الفهم العميق لهذه القيمة البيئية يحصل الربط بين النعمة (الماء) وبين الاستدامة البيئية، بحيث يضمن المسلمون الاستخدام الآمن قدر الحاجة للمياه، وضمان حق الأجيال القادمة من هذه الموارد.

ثالثاً: يربط الإسلام بين الفساد البيئي والأخلاقي، كما قال تعالى: {ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١} [الروم:41]، فشرعت صلاة الاستسقاء، والتي تتضمن التوبة والاستغفار والصدقة كأداة لتصحيح الخلل البيئي، وإعادة التوازن الكوني. فقد جاءت الكثير من النصوص الشرعية، التي تبين أن سبب حبس المطر- وما يترتب عليه من خلل بيئي -، هو الذنوب والمعاصي، ومن تلك النصوص:

قوله تعالى: {وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ١٦} [الجن:16].

وقوله تعالى: {وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦} [الأعراف:96].

ISSN : 2410-1818

قال ابن كثير -رحمه الله-: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: قطر السماء، ونبات الأرض[79].

ومن السنة: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: ((يا معشر المهاجرين، خمسٌ إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم))[80].

ومن أقوال السلف في هذا السياق: قول مجاهد -رحمه الله-: «إن البهائم تلعن عصاة بني آدم، إذا اشتدت السنة - أي القحط - وأمسك المطر، وتقول: هذا بشؤم معصية ابن آدم»[81].

ومجمل القول: إن صلاة الاستسقاء تمثل نموذجاً إسلامياً فريداً يربط بين العبادة والوعي البيئي، حيث تغرس قيم التوازن البيئي، وترشيد الموارد، والمسئولية الجماعية، وأثرها الممتد إلى الحياة اليومية للمسلمين؛ إذ تسهم هذه القيمة في نشر ثقافة الاستهلاك للمياه، وأن التوبة والاستغفار كوسيلة للتصحيح البيئي، وليس فقط مجرد تنفيذ أمر تعبدي، وتحفيز المجتمعات الإسلامية على اتخاذ خطوات عملية للحفاظ على الموارد المائية بحلول مستدامة، تساهم في الحفاظ على البيئة للأجيال القادمة.

---

[79] ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط1، 1419هـ، (404/3).

[80] سنن ابن ماجه كتاب الفتن، باب العقوبات، (1332/2) ح (4019) قال الشيخ الألباني: حسن.

[81] ابن القيم، الداء والدواء، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، خرج أحاديثه: زائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد – مكة المكرمة، ط1، 1429هـ، (ص145).

ISSN : 2410-1818

الخاتمة:

في الختام، هذه أهم نتائج البحث، وتوصياته:

أولاً: النتائج:

1- إن صلاة الاستسقاء، ليست مجرد شعيرة إسلامية، تؤدى في أوقات مخصوصة وحسب، بل إن لها معان عظيمة، ومقاصد جليلة بتضمنها قيما عديدة، تُترجم شعائر الإسلام وتعاليمه إلى قيم حية إيجابية فاعلة في ميادين الحياة المختلفة للفرد والمجتمع.
2- تتضمن صلاة الاستسقاء قيماً إيمانية تتمثّل باليقين بالله، والتوكل عليه، وحسن الظن به، والخضوع والخشوع، والتواضع، وما يترتب عليها من الشعور بالطمأنينة والسكينة، والرضا بأقدار الله تعالى.
3- تؤدى صلاة الاستسقاء في أوقات الشدة والقحط والجدب، حيث يشعر الناس بعجزهم أمام قوة الله تعالى، مما يجعلهم في حالة خشوع وخضوع كامل لقدرة الله، والتذلل في طلب عفوه ورحمته.
4- عندما يخرج الناس متواضعين، نابذين لمظاهر الفخر والتكبر وراء ظهورهم، هذا السلوك مع كونه يرسخ شعورهم بفقرهم وحاجتهم إلى ربهم؛ فإنه كذلك سلوك عملي لتجسيد قيمة التواضع فيما بينهم.
5- تعزّز صلاة الاستسقاء قيم التعاون والتضامن بين أفراد المجتمع المسلم، وتشجع على المشاركة الجماعية في مواجهة الأزمات.
6- في صلاة الاستسقاء تذكير للمسلمين بأهمية الماء كنعمة إلهية، يجب الحفاظ عليه، مما يعزز السلوكيات الإيجابية، وضرورة الاقتصاد في استخدامه، كسلوك أساسي في الاستدامة البيئية، وضمان حق الأجيال القادمة من الموارد المائية.
7- الأزمات البيئية مثل الجفاف هي نتيجة انحراف السلوك الإنساني، وأن صلاة الاستسقاء وما فيها من دعاء واستغفار وصدقة، وسيلةٌ قيميةٌ لاستعادة التوازن البيئي.

ثانياً: التوصيات:

1- تفعيل دور المؤسسات الدينية والإعلامية والمجتمعية في نشر ثقافة ترشيد الموارد المائية، من خلال الخطب، والبرامج، والمناشط التوعوية.
2- تعزيز العمل الجماعي في الحفاظ على البيئة، من خلال تنظيم مبادرات مجتمعية تعتمد على روح التعاون، والتكافل التي أكدت عليها صلاة الاستسقاء.
3- يقترح الباحث على الباحثين دراسة الموضوع التالي: أثر اليقين في ترسيخ التوكل على الله"، أو تحت عنوان: " من اليقين إلى التوكل: منهج إيماني في تحقيق الطمأنينة".

ISSN : 2410-1818

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

1. ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي، حسن الظن بالله، تحقيق: مخلص محمد، دار طيبة، الرياض، ط1، 1408هـ - 1988م.
2. ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الخطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط3، 1419هـ.
3. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ - 1979م.
4. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، مناقب الإمام أحمد، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط2، 1409ه.
5. ابن الفراء، القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف، التوكل، تحقيق: يوسف بن علي الطريف، دار الميمان للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1435هـ - 2014م.
6. ابن القيم، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، دار المعرفة، المغرب، ط1، 1418هـ - 1997م.
7. ابن القيم، الداء والدواء، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، خرج أحاديثه: زائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، ط1، 1429ه.
8. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط27، 1415هـ -1994م.
9. ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط3، 1416 هـ - 1996م.
10. ابن بطال، محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن بطال الركبي، أبو عبد الله، النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب، دراسة وتحقيق وتعليق: د. مصطفى عبد الحفيظ سَالِم، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، 1988م.
11. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

ISSN : 2410-1818

12. ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، جامع العلوم والحكم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1422هـ - 2001م.
13. ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
14. ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، المغني، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، عالم الكتب، الرياض - السعودية، ط3، 1417 هـ - 1997م.
15. ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط1، 1419ه.
16. ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، دار إحياء الكتب العربية-فيصل عيسى البابي الحلبي، مراجعة: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت.
17. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ.
18. أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، الكليات، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
19. أبو النجا، موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم الحجاوي المقدسي، ثم الصالحي، شرف الدين، الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، دار المعرفة، بيروت.
20. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، مراجعة: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
21. أبو طالب المكي، محمد بن علي بن عطية الحارثي، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1426 هـ -2005م.
22. البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي صحيح البخاري، دار ابن كثير، اليمامة، مراجعة: د. مصطفى ديب البغا، بيروت، 1987م-1407هـ.
23. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، معالم التنزيل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي -بيروت، ط1، 1420ه.
24. الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مراجعة: أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت.

ISSN : 2410-1818

25. الخراز، خالد جمعة، موسوعة الأخلاق، مكتبة أهل الأثر، الكويت، د.ط.
26. الدجوي، أحمد سعيد، فتح الخلاّق في مكارم الأخلاق، مكتبة أسامة بن زيد، حلب - سورية، د.ط.
27. الدويش، منيرة بنت عبد الرحمن، أثر العقيدة في ترسيخ القيم السلوكية لدى طالبات المرحلة الثانوية: دراسة نظرية تطبيقية، رسالة ماجستير، السعودية: جامعة القصيم، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 2014م.
28. الرغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط1، 1412ه.
29. السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل، المبسوط، دار المعرفة، بيروت، 1414هـ - 1993م.
30. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط1، 1414ه.
31. الضويحي، أحمد عبد الله، وأحمد بن عبد الرحمن الرشيد، دليل كتابة الرسائل العلمية والبحوث التكميلية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كتاب إلكتروني على موقع الجامعة، 1432.
32. العسكر، عبد الله بن محمد، التفاؤل في زمن الكروب، دار ورسالة البيان للنشر والتوزيع، ط1، 1439ه - 2018م.
33. الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، مفاتيح الغيب" التفسير الكبير"، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط3، 1420ه.
34. القاري، علي بن سلطان محمد (ت:1014ه)، الاستدعاء في الاستسقاء، قدم له وضبط نصه، وخرج أحاديثه: مشهور حسن سلمان، المكتب الإسلامي، بيروت - دار عمار، عمّان، ط1، 1410ه - 1990م.
35. القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، ط1، 1417 هـ - 1996م.
36. مالك بن أنس، المدونة، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ - 1994م.
37. مسلم، ابن الحجاج القشيري النيسابوري صحيح مسلم، مراجعة: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، 1954م-1374هـ.
38. المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين، الترغيب والترهيب، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ.

ISSN : 2410-1818

39. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، روضة الطالبين، وعمدة المتقين، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان، ط3، 1412هـ - 1991م.
40. الهروي، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 2001م.

ISSN : 2410-1818

مجلـــة الأندلـــس للعلـــوم الإنسانيـــة والاجتماعيـــة
مجلـــة دوليـــة شهـريـــة علميـــة محكمـــة
الترقيـــم الدولي الإلكتروني : ISSN : 2410- 521X
الترقيـــم الدولـــي الورقـــي :ISSN :2410- 1818
البريد الإلكتروني : journal@andalusuniv.net

المجلـــة مفهرســـة فـــي المواقـــع الآتيـــة :

العام	2020	2021	2022	2023	2024
معامل أرسيف	0.0366	0.2692	0.1954	0.3759	0.3068
معامل التأثير العربي	1.60	1.60	1.73	1.25	1.55